جامعة بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

المستوى: ثانية ماستر

التخصص: نقد حديث ومعاصر

السنة الجامعية:2019-2020

المحاصرة الرابعة

السرد القصصي الماهية والخصائص

القصة ضرب من الفنون النثرية، وهي في مفهومها البسيط: نوع من القول النثري أو الكتابة، ينقل أحداثا تخضع لمبدأي التتابع والتحول، وهي أحداث منزلة في مكان وجارية في الزمن، وتنهض بها شخصيات. لذلك يتسع مفهومها ليشمل أنواعا وأنشطة قصصية شتى، ويتصل مفهوم القص في العربية برواية الخبر، فقد ورد في لسان العرب: قص يقص الخبر وهو القصص، وقص علي قصصه، يقصه قصا و قصصا: أورده. والقصص رواية الحديث أو الخبر، وبيانه والإعلام به، وتتبع أجزائه جزء جزء من بدايته إلى نهايته. ويبقى الأهم هو الطابع الإنساني الذي يميز هذا النوع الأدبي، ويجعله في ريادة الأجناس الأدبية الحديثة.

والقصص في الأدب الحديث أنواع هي:

- القصة الطويلة أو الرواية (Roman)

- القصة القصيرة، وتقع بين الرواية والأقصوصة (Nowel)

- الأقصوصة أو القصة القصيرة جدا (Short Short-Story) وتمتاز بالإيحاءوالتكثيف.

1- العناصر الفنية:

للقصة عناصر تلتزمها ولا تخلو منها، ولا يستوي أي عمل قصصي حتى تتوافر تكشف لنا به القصة عن طريقة الكاتب في النظر إلى الحياة، وفهمها لها ومواقفه منها، وهذه العناصر هي:

– الفكرة: تحدث القصة لتقول شيئا أو لتقرر فكرة، فالفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للقصة. والموضوع الذي تبنى عليه القصة لا يكون دائما إيجابيا في أثره، يجب أن يقرر حقيقة عن الحياة، لكنه غير مطالب بأن يحل المشكلة.

– الحادثة: الحوادث مجموعة الوقائع الجزئية، و تكون مرتبطة منظمة على نحو خاص، والحدث هو اقتران فعل بزمن و هو لازم في القصة، لأنها لا تقوم إلا به، و يستطيع القاص – إذا أراد– أن يكتفي بعرض الحدث نفسه دون مقدماته أو نتائجه كما في القصة القصيرة، أو قد يعرضه متطورا و يختلف خط سير الحوادث من قصة لأخرى، فلكل منها نظامه الخاص.

– الشخصية: يكتسي عنصر الشخصية أهمية في القصة، ويشترط فيها أن تكون حية، لأن القارئ يود أن يراها حية وهي تتحرك، وأن يسمعها وهي تتكلم. والشخصية في القصة نوعان: جاهزة أو مسطحة، وهي الشخصية المكتملة التي تظهر في القصة دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير، وإنما يحدث التغيير في علاقاتها بالشخصيات، في حين يطلق على النوع الثاني الشخصية النامية، وهي الشخصية التي يتم تكوينها بتمام القصة <ولا تبدو للقارئ في الصفحات الأولى، بل تتكشف شيئا فشيئا، وتتطور بتطور القصة وأحداثها، ويكون تطورها نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، وقد يكون هذا التفاعل ظاهريا أو خفيا و قد ينتهي بالغلبة و الإخفاق

– البيئة (الزمن والمكان):

إن بيئة القصة كما يذهب محمد يوسف نجم هي حقيقتها الزمنية والمكانية أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم وأساليبهم في الحياة فالارتباط بهذين العنصرين كما يرى الناقد ضروري لحيوية القصة، لأنه يمثل البطانة النفسية والقاص مطالب بتصوير المكان بوصفه مكملا لتصوير الشخصية التي تعيش فيه من حيث غناها أو فقرها، ومن حيث ذوقها وما تميل إليه وما تنفر عنه، وما يبهجها وما يؤلمها. فقد غلبت الأماكن الطبيعية كالريف والقصور والسواحل على الكتابات الرومانسية، أما الكتاب الواقعيون فقد اشتغلوا بالأحياء الشعبية بوصفها الأماكن المفضلة لقصصهم

– السرد: وهو نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية، ويشترط في السرد <<أن يكون ممتعا شيقا مؤثرا بلغته وأسلوبه، فلا ركاكة ولا ابتذال ولا جفاف ولا هلهلة، بل لغة طبيعية تناغم محتواها، وأسلوب مترابط الأداء متدرج الحبك متصاعد التأزيم، يتحرك تلقائيا بتحرك الأحداث، فلا يبطئ حيث تسرع، ولا يلين حيث تعنف، ولا يتردد وبكلمة أخرى السرد عنصر أساسي، لا يمكن الاستغناء عنه في بناء فنية وجمالية القصة.

القصة لدى الغرب

نشير بادئ ذي بدء إلى أن القصة لم تعرف انجازا حاسما في مسيرة تطورها التقني إلا على يد الفرنسي (ج.د. موباسان) و الروسي أنطوان تشيكوف، و ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فموباسان يرى أن القصة القصيرة تجئ منفصلة و هي تعبير عن لحظة محددة.

وكان هذا من أعظم الاكتشافات الأدبية في العصر الحديث، لأن القصة التي لاءمت مزاجه ووافقت روح العصر، وكانت أداة للتعبير عن الواقعية الجديدة. ومما لا شك فيه أن بذور القصة لدى الغرب كانت موجودة منذ القديم في الملاحم اليونانية ثم جاءت القصة اللاتينية ومن أهمها الحمار الذهبي لـ :أبوليوس (Apulius). و ظهر في العصور الوسطى القصص الشعبي المعروف بالفابليو(Fabilau) و معناه الخرافة الصغيرة مثل قصة "اللص الذي اعتنق ضوء القمر"، و كذلك قصص الفروسية و الحب كقصة لانسيلو (Lancelot) أو "الفارس ذو العربة" (Le chevalier a la charette) و ظهر في عصر النهضة قصص الرعاة في الأدبين الإسباني و الفرنسي ومن روادها بوكاشيو في كتابه (Decanern)

وحينما ظهر سرفنتس انتقد بشدة قصص الحب لبعدها عن الواقع في قصته الشهيرة (دون كيخوته)، وسار على نهجه الكتاب الفرنسيون وركزوا على قضايا الإنسان مثلما جسده جوتيه (Gauthier) في كتابه موت الحب الذي ظهر في 1616.

وفي القرن السادس عشر ظهرت قصص الشطار في اسبانيا. وبانقراضها برزت قصص العادات والتقاليد التي تستمد أحداثها من الواقع.

وعند سيادة الاتجاه الرومنتيكي اتخذ من القصة مجالا للتعبير عن الفرد وطبيعته الخيرة ومن أشهر كتاب هذا الاتجاه فيكتور هوجو وجورج ماند. وتظهر الشخصيات في القصص

الرومانسية ضحايا لنظم المجتمع وجبروته. فما كانت تهدف إليه هذه القصص هو إبراز الظلم الاجتماعي الذي يعاني منه الفقراء.

و تحسن الإشارة إلى القصة الغربية، عرفت تطورا و رواجا في زمن الواقعية، و أصبح لها قواعد فنية محكمة، ويعد بالزك (1799-1850) رائد كتاب القصة الواقعية الذين اهتموا بتصوير الواقع، و بخاصة في مجموعته الكوميدية الإنسانية التي عرض فيها جوانب المجتمع الفرنسي، و نقائصه في عصره، كما ظهر أيضا فلوبير و إيميل زولا و موبسان.

وتعد قصة مدام بوفاري (لفلوبير) بداية الاتجاه الواقعي في القصة الفرنسية، ثم يتجه رولا إلى العلم التجريبي الذي أخذ يتغلغل في الأعمال الأدبية بتأثير تين (Tine) الذي اعتبر البيئة والوراثة عنصرين مهمين في تكوين الشخصية.كما اتخذ الاتجاه الواقعي سبيلة إلى القصة الألمانية لدى توماس مان الذي يذهب إلى أن القصة شعبية النشأة والطبيعة، وأن هذه الشعبية جعلتها أكثر واقعية من غيرها من الأجناس الأدبية

وأدت مجموعة من العوامل إلى ازدهار فن القصة في الآداب الغربية الحديثة، يقف في أولها انحسار الأمية وازدهار الصحافة وارتقاء الثقافة، وألقى ازدهار القصة ورواجها في الأدب الغربي ظلالها على الأدب العربي، فكان ميلاد القصة العربية بعد فترة تألقها وازدهارها لدى الغرب.

3-السرد القصصي العربي

كان للعرب منذ القدم اهتمام بالفنون القصصية، وقد اتسم القص الغربي في الأدب العربي القديم ببعض السمات أبرزها:

- الحادثة،وتسرد بطريقة آلية وفي حركة خارجية لا تفاعل مع الشخصيات.

- الوصف الخارجي للشخصية.

- عدم ارتباط الحوار بالأحداث والشخصيات وعموميته.

واختلف النقاد حول نشأة القصة في الأدب العربي، حيث ذهب فريق منهم إلى أنها فن مستحدث في الثقافة العربية، ظهر بفعل الاحتكاك بالثقافة الغربية في عصر النهضة العربية، في حين ذهب الفريق الثاني إلى أنها امتداد لفن المرويات العربية (الشعبية) الموروثة، أما الفريق الثالث فقد عدها نتاج عملية الانصهار والتفاعل بين الدينامية الداخلية والأخرى (الخارجية).

ترجمت قصص كثيرة وخاصة عن الأدبين الفرنسي والإنجليزي، ويذهب جورجي زيدان إلى أن <<أكثرها يراد به التسلية، ويندر أن يراد به الفائدة الاجتماعية أو التاريخية أو غيرها

ومن رواد هذه المرحلة رفاعة الطهطاوي بترجمته لقصة (مغامرات تليماك) وكان هدفه من ترجمتها لما اشتملت عليه من معان حسنة <<مما هو نصائح للملوك والحكام، ومواعظ لتحسين سلوك الناس، تارة بالتصريح وطورا بالتلميح كما ترجم محمد عثمان جلال: بول وفرجيني لـ: برتاردين سان بيير، تحت عنوان: الأماني والمنة في حديث الجنة،وترجم بطرس البستاني روبنسون كروز (لديفو) عام 1961 وأسماها التحفة البستانية في الأسفار الكروزية،وترجم سامي قصيري: ماتيلدا للكاتبة (أوجين سو). وقد كان للبنانيين دور بارز في هذه الترجمات بحكم صلتهم باللغة الفرنسية.

ويسجل الباحثون والنقاد بعض الملاحظات المهمة حول هذه الترجمات، يلخصها خليل الموسوي في الآتي:

- السرعة في الترجمة لارتباطها بالدورات التي تصدر في أوقات محددة

- لغة الترجمة أحيانا تكون هزيلة، ركيكة، تهتم بالمعنى على حساب الشكل

- الابتعاد عن البلاغة وتجويد العبارة

- عدم تقيد المترجمين بالنص الأصلي، وكان بعضهم يلجأ إلى الاختصار والإضافة.

- لم يهتم المترجمون بالإنتاج الأكثر جودة، وإنما اهتموا بالإنتاج الأكثر شعبية.

ورغم هذه النقائص، فقد كان للترجمة دور كبير في ولادة القصة والرواية وازدهارهما في الأدب الغربي، وتظل لهذه الترجمات فائدتان هما

– إشاعة جنس القصة بين القراء العرب

– تطويع اللغة العربية من لغة السجع والتصنع في فن المقامة إلى الاقتراب من لغة الحديث اليومي.